

# شكرات

يانه هيفه

وردنا من حضرة الاب صاحب التوقيع ما يلي :

جا في الكتاب المدعو « دلائل العناية البصداية في ترجمة العيد الذكر البطريك الحويك » ، الصادر من مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونيه ، بقلم الحوري ابراهيم حرفوش ، عبارة غير مطابقة للحقيقة ، عند تكلمه عن ادارة الآباء اللعازريين للمدرسة المارونية الرومانية في سنة ١٩٠٥ ، وهي الآتية ، في صفحة ٣٧٨ ، قال :

« غير ان الآمال المقردة على هذا التغيير لم تأتِ بالنتيجة المرغوبة . فان البطريك على اثر زيارته رومية سنة ١٩٠٥ اقال الآباء اللعازريين من هذه الادارة . . . »

فنقول : ان المدرسة كانت سائرة سيرها الطبيعي ، والمجمع المقدس كان مسروراً منها ، فضلاً عن رؤسائها . فلا نعرف الى اي شيء استند الحوري ابراهيم حتى قال : « ان الآمال المقردة لم تأتِ بالنتيجة . »

اما قوله : « ان البطريك اقال الآباء اللعازريين » فهو غلط ، لان البطريك لم يكن قادراً على اقاتلهم . اذ ان تعيينهم لهذه الوظيفة لم يكن منه ، بل من المجمع المقدس بارادة خاصة من الابا نفسه . والآباء اللعازريين استقالوا من تلقا نفوسهم لاسباب صوابية ، فاضطر المجمع المقدس ان يقبل استقالتهم لظروف عارضة آنشد .

فجأ للحقيقة التاريخية ، وازالة للاشتباه الصادر من كلام الحوري ابراهيم حرفوش ، اتينا نرجو نشر كلتتا هذه في مجلتكم « الشرق » القراء ، مع اهداء الشكر سلفاً .

الاب يوسف طران  
اللعازري

طرابلس ، في ١٨ تموز ١٩٣٦

## جريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري

عود على بدء

تكرم حضرة الخوري قسطنطين الباشا بالردّ على ملاحظتنا السابقة وقد كنا نودّ ان نزل عند رغبته فترضى بالجواب . ولكن أئى لنا ذلك ، وحضرتة قد نسي في ايضاحه الكثير من اقواله في مقدمته المعهودة ، واهمل الكثير مما وردّ في ملاحظتنا . فنتسمح القراء عذراً لتعود بحضرتة الى صلب موضوعنا ، فتراه نقطة نقطة .

أ قال حضرتة في مقدمته « لجريدة توزيع مال خراج لبنان الاميري » ما يلي حرفياً عن الامير يوسف : « انه احدث انقلاباً مهماً في طبقات سكّان هذه البلاد (بلاد جبيل والبترون) بان اقطع عدة قرى لذوي الرعاية الذين اعانوه على قتال بني حمادة . فانه جعلهم برتبة المشايخ ، واقطع لهم الاقطاعات الكافية . »<sup>(١)</sup> ويُفهم من كلامه هذا ان العائلات التي عددها ليست فقط من المشايخ ، بل انها من كبار المشايخ اصحاب الاقطاع .

فاستغربنا صدور مثل هذا التصريح من مؤرخ معروف كحضرة الخوري قسطنطين ، وابدينا استغرابنا في سؤال طرحتاه عليه ، واحبين ان يأتينا بجواب منيد ، قلنا : « ان التقاليد المشهورة التي تؤيدها الترايخ الصحيحة لا تعرف في لبنان الشهابي الا بضع عائلات اقطاعية ذكر شيئاً عنها المينطوريني واورد الشدياق اخبارها مفصلة . . . فاذا كان النشر الكريم قد اكتشف اكتشافاً جديداً يسمح له بهذا الإكثار في تعداد ذوي الاقطاع فليفضل ويرشدنا الى مصادره »<sup>(٢)</sup> .

وكان من حسننا ان ننظر من الخوري قسطنطين اماً شرحاً مختلفاً عن شرحنا للنصوص التاريخية يُثبت قوله ويُبطل اعتراضنا ، وإما اصولاً جديدة نجهاها واعتمد عليها حضرتة في مقاله .

(١) المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٢٢٤

(٢) المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٦١٢

فأجاب حضرته : « اخذ عليّ اني اكثر من المشايخ في لبنان بمن ذكرت منهم هناك غيرة منه على شرف هذه الرتبة في اهلته محتجاً بأن ليس لهم كلهم ذكر في تاريخ اعيان لبنان »<sup>(١)</sup>.

وروى القراء من جملتنا التي اوردناها اعلاه اننا اخذنا على الخوري قسطنطين، ليس إكتاره من المشايخ ايّاً كانوا، وانما إكتاره من المشايخ ذوي الاقطاع دون سواهم . وأردف قائلاً عن تاريخ الاعيان : « لم يذكر صاحبه فيه من الاعيان الا من وردت اليه اخبارهم من اهلهم كما يظهر هذا من كلامه في صفحة ٢٠٠ من كتابه »<sup>(٢)</sup>.

أما كلام الشدياق الحقيقي فهذا هو : « واعلم اني لم استوف الكلام في نسبة بعض الاعيان لأنني لم اجد في كتب الاقدمين الا ما ذكرته عنهم . وهذا هو احتجاجي لدى الذين لم ادخل نسبتهم في هذا المؤلف »<sup>(٣)</sup> . . . .  
ثم تابع حضرته سلسلته الكريمة فاحذف الى المائلات التسع التي ذكرها في مقاله الاول احدى عشرة عائلة جديدة — ما خلا المائلات الاربع عشرة التي ذكرناها نقلًا عن الشدياق<sup>(٤)</sup> . ولم ينس ان يؤكد انهم « لا محالة اكثر من ذلك »<sup>(٥)</sup>.

(١) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢١

(٢) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢١

(٣) اخبار الاعيان في جبل لبنان ، ص ٢٠٠ — وبما للمجب كيف تحولت « كتب الاقدمين » عند الشدياق الى « اهل الاعيان » عند حضرة الخوري قسطنطين اولئك هذا التفسير يمله يقول في مكان آخر : « ان كاتب الفصل الخاص بتاريخ بني الدحداح هو من كبار مشائهم » . . . .

(٤) قال حضرته انه بدأ للطبع « اصح وانم ما كُتب في بيان نظام لبنان الاقطاعي » ، رسالة لتأليف اليازجي منذ سنة ١٨٣٣ . وهذه الرسالة مطبوعة في مجلة « الهلال » (١٣ : ص ٥١٤) . وقد ذكر اليازجي المائلات الاقطاعية كما وردت عند الشدياق ، ولم يختلف الاثنان الا فيما يلي :

أ ذكر اليازجي بني الخوري صالح بين المائلات الثوبية اي الغير الاقطاعية خلافاً للشدياق الذي عدّهم من الاقطاعيين .

ب ذكر اليازجي بين الاقطاعيين بني العيد وهؤلاء لم يرو اخبارهم الشدياق .

(٥) المشرق ٣٦ [١٩٣٦] ١٢١

وكنا نقرأ حتى الآن ايضاح حضرته بشوق عظيم الى مصادره وقد اغت  
عن الاعتماد على الشدياق ، فاذا به يقول :

« فان كان حضرة الشيخ الكرمي بضن على المذكورين بلقب شيخ او يريد  
ان يجعلهم ادنى رتبة في المقام من بيت الدحداح او بمقام شيخ ضيعة فالامر  
بذلك بينه وبين احفادهم »<sup>١</sup>.

فكان انذهالنا عظيماً ، ولا نظن قراء حضرة المورخ الأشرقاء لنا في  
الانذهال ا إذا أبسح الحوري قسطنطين لنفسه بتوزيع الالقاب والمراتب  
التاريخية ، ثم ، عندما نسأله عن مستنداته ، يتلصص من البرهان ويجعلنا الى احفاد  
من الصق بهم تلك الالقاب ، طالباً اليهم الدفاع عن اقواله في اجدادهم ؟  
انها طريقة في التاريخ غريبة كانت تكفينا مؤونة الجدل مع حضرته ، لو  
لم يكن له احترام في نفنا يجعلنا نعتقد الاعتقاد الكلي ان عبارته لم تعبر تماماً  
عن فكرته الحقيقية .

ان هذا الاعتقاد حملنا على البعث عما قد نشتم منه رائحة البرهان في مقاله .  
فوجدنا هذين القولين :

اولاً : « وحسي ان اقول له اني اعلم العلم اليقين مثلاً ان المشايخ من بيت  
ابي طويه في تندرين ما كانوا يتراوجون من نحو ستين سنة واكثر الامع بيت  
الحازن وبيت ابي صعب وبيت الظاهر . ومن هم بمقامهم »<sup>٢</sup> . قلنا : وكان  
حضرته ، بدلاً من ان يبرهن على صحة اقواله في اقطاعية العائلات العشرين ،  
اكتفى « بعله اليقين » عن مزاييج اسرة واحدة . وليست قضية الزواج لتدل  
على وجود رتبة الاقطاعيين عند عائلة ما .

وثانياً : « والدليل على ان من ذكرت هم من كبار المشايخ سعة املاكهم  
التي اقطعها لهم الامير يوسف في بلاد جبيل والبترون »<sup>٣</sup> .

١ المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٢٢

٢ المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٢٢

٣ المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٢٤

وغني عن البيان ان سمة الاملاك لا تفيد شيئاً ثابتاً. فان الامير الحاكم كان يهب الكثير لجميع الناس من اقطاعيين وغير اقطاعيين وغير مشايخ. وهل املاك الرهبان، وهي من هبات الحكّام، دليل على انهم كانوا اصحاب مقاطعات يحكمونها بالوراثة؟

٢ احببنا ان ينظر معنا حضرته في التناقض الواقع بين قوله المنقول عن الشديان ان الامير يوسف كتب «الاخ العزيز» الى الشيخ سعد الخوري، وبين قول الامير يوسف نفسه: «عزيزنا الشيخ سعد الخوري»<sup>(١)</sup>. فأجاب<sup>(٢)</sup>:  
«ان الشيخ سعد الخوري كان اقرب المقرين الى الامير يوسف وفوق الجميع لا لكونه كاخوته فقط بل لكونه سريته»<sup>(٣)</sup>.

لا ندري ما هي العلاقة بين محبة الامير يوسف لمربيه وبين قولنا. والمعلوم ان الحكّام اللبنانيين كانوا يتخذون لهم مدبرين من جميع الطبقات. فان الامير بشيراً الكبير مثلاً قد اتخذ ستة مدبرين معروفين<sup>(٤)</sup>. وكان اثنان منهم من العامة وهما فارس ناصيف وجدعون الترك، وواحد من المشايخ الثنوين هو الشيخ نجم العقيلي، واثنان من المشايخ الاقطاعيين هما الشيخان سلوم ومنصور الدحداح، وواحد من القرباء عن لبنان هو بطرس كرامه، كاتب الامير امين بشير ورفيقه.

٣ سألنا حضرته سؤالا واضحا عما «يثبت قوله ان الامير يوسف كتب الى الشيخ سمان البيطار «الاخ العزيز»<sup>(٥)</sup>، مع علمنا ان الامير يوسف شيخ المذكور على البتورن، وذلك لانه لم يكن جميع المشايخ، حتى الاقطاعيين<sup>(٦)</sup>

(١) سلسلة بطاركة الطائفة المارونية، طبعة الشرتوني، ص ٢٤

(٢) ظنّ حضرته اننا نريد ان نقابل بين بني الدحداح وبعض المائلات. وحاشا ان نخوض هذه المواضع الصيانية.

(٣) المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٢٢

(٤) المشرق ٢٢ [١٩٢٤] ٥٧١

(٥) المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٦١٤

(٦) كني المازار اصحاب الكورة وكان يكتب اليهم الحاكم «عزيزنا» فقط (اليازجي:

الجلال ١٣ ص ١٥١٦).

منهم ، من رتبة « الاخ العزيز » .

فقال اننا سألناه عما « ثبت قوله ان الامير يوسف جعل سمان البيطار شيخاً »<sup>(١)</sup> ، والفرق بين الامرين ظاهر . وراح يستشهد بالمرحوم والدنا لانه قال في احدى مقالاته : « الشيخين منصور الدحداح وسمان البيطار » ، ثم بالشدياق فأورد النص التالي : « فتولى الامير يوسف المقاطعات المذكورة وجعل منصور يوسف الدحداح شيخاً على بلاد جبيل وكتب له صكاً بذلك برسم عهدة . وسلم سمان البيطار مقاطعة البترون وشيخه عليها وعمرها »<sup>(٢)</sup> .

فتقول اولاً ان قولي الشدياق والمرحوم والدنا لا يفيدان بالمراد لاننا لم نذكر بمشيخة البيطار على البترون ؛ بل سألنا عن رتبة « الاخ العزيز » .

ثم نعود الى نص الشدياق الوارد اعلاه فتراه يحوي امرين : مشيخة منصور الدحداح من قبل الامير يوسف على بلاد جبيل ، ومشيخة سمان البيطار من قبل الامير ذاته على البترون . فكيف استند اليه حضرته للقول في مقدمته :

« وكان الامير الكبير الحاكم اذا اختار رجلاً من لبنان لتدبير اموره من غير المشايخ او كاخية له رفاه الى رتبة المشايخ وفار يكتب له « الاخ العزيز » واقطعه بعض الشيع كما فعل الامير يوسف . . . مع سمان البيطار ، وكما فعل الامير بشير مع بني الدحداح . . . »<sup>(٣)</sup> ؟

أيجوز ان نستغل القسم الاخير من النص لنبهن على امر ما ، وان نهمل ، بل تناقض القدم الاول منه لأنه لا يروقنا ؟ أهذا هو الاتصاف الطيبي الواجبة سيطرته على جميع البجاث المؤرخين ؟

ونستغرب ايضاً توسع حضرته هنا في الكلام عن ظلم الحكام المتأولة للنصارى ، وعن عدم امكان هؤلاء الحكام ان يكتبوا « الاخ العزيز » لرجل

(١) المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٢٣

(٢) المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٢٤ ؛ واخبار الاميان ص ١١٢

(٣) المشرق ٣٣ [١٩٣٥] ٢٢٤

مسيحي<sup>(١)</sup> . . . وحضرته يعلم ان كتابة « الاخ العزيز » عادة درج عليها الحكماء الشهابيون دون سواهم . اما مقام بني الدحداح من الحكماء المتأولة فاننا نكتفي الآن لوصفه بما ورد في تلك المخطوطة التي كان حضرته يتلذذ بقراءتها وهو صغير<sup>(٢)</sup> ، اي مخطوطة المينطوريني ، وقد جاء فيها عن الشيخ يوسف الدحداح انه « توجه الى بلاد بلبك فصار يازجي عند بيت الحرفوش مدة . وبعده رجع الى بلاد جبيل وتقدم عند الشيخ اسميل حمادي وسلبه كل شي بيده »<sup>(٣)</sup> . ولم يكن الشيخ اسميل المذكور بأقل شأنًا من معاصريه الاميرين بشير الاول وحيدر الشهابيين ، فان الموزع عينه يقول انه « اشتد بأسه في كامل المقاطعات . وصارت تهابه كافة حكّامها . وبقي امره نافذ الى حد حلب لحرف الناس منه »<sup>(٤)</sup> .

فأقول المينطوريني هذه ، ونص الشدياق الذي اوردته مناظرنا الكريم ، تدل دلالة واضحة على بطلان زعمه في ما سبق ان « الامير بشير رقي بني الدحداح الى رتبة المشايخ . . . واقطعهم بعض الضيع » .

اما النص الذي استشهد به حضرته لانه يقول ان الشيخ سمعان البيطار كان معتمد الديوس عند الامير يوسف ، وان الشيخ ظاهر الدحداح كان يازجي الامير<sup>(٥)</sup> ، فيدل على ان ظاهرًا المذكور كان شيخًا فام « يرفع » الامير بشير اذا بني الدحداح الى هذا المقام . . .

° بقيت قضية « المعلم » . بصرت حضرته على ان الامير الكبير كان يمنح هذا اللقب لمديريه الثرباء عن لبنان . ولما سألتناه رأيه في المعلمين الياس آده ونقولا الترك اللبنانيين اجاب : « ولا يخرج من هذا الحكم المعلم نقولا الترك شاعر الامير ، اذ هو اسطنبولي الاصل كما يدل على ذلك لقبه « الترك » .

(١) المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٢٢

(٢) المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٢٤

(٣) مخطوطة المكتبة الشرقية ٥٤٧ م ٢٦١ ؛ والمشرق ٤ [١٩٠١] ٨٢٦

(٤) مخطوطة المكتبة الشرقية ٥٤٧ م ٢٢ ؛ والمشرق ٤ [١٩٠١] ٨٢٤

(٥) المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٢٤

وكذلك المعلم الياس ادي ( كذا بالحرف الاخير ) كاتب الامير فانه يروي في الاصل .<sup>١١</sup>

لنكن صريحين ولنتفق على احد امرين لا مناص من الاختيار بينهما : إما ان يكفي اسم المكان للدلالة على اصل حامله ، وإما ان لا يكفي للدلالة عليه . فاذا كان يدل على شيء . يجب ان نطبقه على الرجلين معاً لا على الواحد دون الآخر . يقول حضرته ان اسم « الترك » يدل على اصله الاسطنبولي . فلماذا لا يريد ان يدل اسم « اده » على اصله وهي قرية في بلاد جييسل ؟ ولا سيما ان المعلم الياس مولود في تلك القرية<sup>١٢</sup> .

واذا كان اسم المكان لا يدل على شيء ، واذا كان ينبغي ان ننظر الى موطن الرجل في مولده وحياته ، فلماذا يسنّ حضرته باللبنانية على نقول الترك وهو قد ولد ومات في دير القمر وعاش في بلاط الامير<sup>١٣</sup> ؟

وفي كل حال ، لتفترض جدلاً ان جميع من سُموا « معلمين » كانوا غرباء عن لبنان فاذا يفيد ذلك ؟ لماذا حتمّ حضرته على الامير الحاشم ان يمنح هذا اللقب وان توازي « رتبة » المعلم رتبة الشيخ ؟ اجل ، كنا نودّ لو ان حضرته لم ينسّ في هذه المرة ايضاً المصادر ، وهي يجب ان تكون الحكم الفصل في مثل هذه الشؤون .

وفي الاخير نؤكد لحضرة الحوري قسطنطين الباشا اننا لم نسأله سراً واحداً « للتهجيز » كما ظن ، ولا انتقدناه « غير منا على شرف الرتبة في اهلنا »<sup>١٤</sup> بل اضطررنا مكرهين الى ابداء ملاحظتنا غير منا على الحقيقة التاريخية ، وقد كثر مشرعوها في لبنان .  
نجيب سليم الدحداح

(١) المشرق ٣٤ [١٩٣٦] ١٢٥ - ويظهر ان حضرته اجاب بجملة كما ترى من كتابته « اده » بالياء وكما يظهر من جملة هذه : « في الوقت الذي كان فيها المشايخ بيت الحاشم من الماديين » ولا معنى لما لأن الماديين فرع من بيت الحاشم .

(٢) المشرق ٢ [١٨٩٩] ٦٩٤

(٣) تاريخ الآداب العربية للاب شيخو ؛ الجزء الاول : ٢٢

(٤) ومن رأيت ان تُلغى جميع الالقب لأنه لم يَبَيّنْ لها ادنى معنى . اماً فائدة التاريخية فهي امكان طاليتها ان يبحثوا عنها في كتب التاريخ الصحيحة .